

بحث في ديناميكيات "الانتقال" و"الانتقالات العظمى" و"الانتقال الأعظم"

في الأنساق العالمية المعاصرة: مدخل معرفي شامل (1 من 3)

Research into Dynamics of "Transition", "Great Transitions", and "Mega Transition" in Contemporary Global Contexts: A Global Epistemological Introduction (1 - 3)

قاسم حجاج¹

¹ جامعة قاصدي مرباح ورقلة، houdjedje.kacem@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2024/07/29

تاريخ القبول: 2024/09/30

تاريخ النشر: 2024/10/15

ملخص: تنطلق هذه الدراسة من ملاحظة موضوعية للتغيرات الإنسانية المعاصرة، وليس فقط من تلك التي تمس "العلاقات الدولية المعولة" الراهنة، مفادها أن جملة من "الانتقالات العظمى المعاصرة" / The Contemporary Great Transitions، بصدد التأثير على الأنساق الفرعية للحالة الكوكبية الراهنة، محدثة حالة تداعي أزمت تكيف في أكثر من مستوى وقطاع وإقليم، مهددة سيورتها المتداخلة والمتزامنة والمتتالية والمتراكبة، لاحتمال حدوث "انتقال أعظم/Mega Transition"، لما تكتمل صيرورته بعد.

ومنه، تساؤلنا: ما هو "الانتقال"؟ وما خصائص "الانتقال"؟ ؛ ماهية "الانتقالات العظمى"؟ ؛ وما هي طبيعة التداخلات بينها؟، وأي أفق مستقبلي ممكن، بعيد المدى، لتفاعلاتها الحالية نحو "انتقال أعظم إنسانيا ودوليا؟

وقد افترضنا أن "العلاقات الإنسانية العالمية المعاصرة"، ومنها "العلاقات الدولية المعولة المعاصرة" قد تفضي إلى "حالة انتقال أعظم"، رغم مرور كوكبنا الراهن، بمرحلة من الفوضى النسبية الانتقالية، المبرجة والمتحكم فيها نسبيا، من طرف القوى الممسكة بموازن القوى الإنسانية والدولية الراهنة".

هدف الدراسة -التي ستنتشر على ثلاثة أجزاء متكاملة متتالية- بذل جهد استقرائي يعتمد المنهج الوصفي، مع استعمال تقنيات الاستشراف، وانتهاج المقاربة المعرفية المتعددة التخصصات، للتعريف أولا بظاهرة "الانتقال": مدخل معرفي شامل ؛ ثم ثانيا التعريف بـ"الانتقالات العظمى المعاصرة": تعريفا، وتوصيفا وأثر في

تشكيل "العلاقات الدولية المعولة المعاصرة" ؛ وثالثا وأخيرا، النظر في الآفاق المستقبلية لسيرورة تشكل "انتقال أعظم" كوكبي ممكن.

كلمات مفتاحية: الانتقال، الانتقالات العظمى، الانتقال الأعظم، العلاقات الدولية المعولة، الحضارة الكوكبية.

Abstract: This study is based on an objective observation of "contemporary human" changes, not only those that affect the current "international globalized relations", that a number of "Contemporary Great Transitions" are affecting the sub-forms of the current planetary situation, triggering a state of collapse of adaptation crises in more than one level, sector and region, paving the way for the possibility of emergent of a "Mega Transition", when its process is completed, through their overlapping, simultaneous, consecutive and superimposed processes.

Our problematic is based on the following questions: What is a "transition" ; What are the characteristics of a "transition"; What are the "great transitions"; What are the overlaps between them; and what is the possible long-term future horizon of their current interactions towards a Human and International "Mega Transition"?

We have hypothesized that "global human universal relations", including "contemporary globalized international relations" may lead to a "state of Mega Transition", even though our planet is currently undergoing a phase of transitional relative chaos, programmed and relatively controlled by the forces holding the current human and international balance of power.

The aim of the study -which will be published in three consecutive integrated parts- is to make an inductive effort that adopts a descriptive approach, using foresight techniques and an interdisciplinary epistemological approach, to: First, define the phenomenon of 'transition': A global epistemological introduction; then, Secondly, the definition of "contemporary Great Transitions": Their definition, characterization and their impact on the formation of "contemporary globalized international relations"; Thirdly and finally, the future prospects for the formation of a possible planetary "Great Transition".

Keywords: Transition, Great Transitions, Mega Transition, Globalized International Relations, Planetary Civilization.

المؤلف المرسل: قاسم حجاج، houdjedje.kacem@univ-ouargla.dz

مقدمة:

تنطلق هذه الدراسة من ملاحظة موضوعية للتغيرات التي تشهدها الإنسانية المعاصرة، وليس فقط لتلك التي تشهدها "العلاقات الدولية المعولة" الراهنة منذ نهاية الحرب الباردة، ومن خلال مقارنة متعددة التخصصات، مفادها أن جملة من التحولات العظمى - المكثفة حسب اجتهدنا الفكري، في ثمانية تحولات عظمى - بصدد التأثير على الديناميكيات الداخلية والتفاعلات الخارجية لفاعلي الأنساق الفرعية للحالة الحضارة الكوكبية المعاصرة، محدثة حالة من تداعي أزمت التكيف معها، سمينها اصطلاحا بـ "الانتقالات العظمى/The Great Transitions"، والتي تمهد سيرورتها المتداخلة والمتزامنة والمتتالية والمتراكبة، بدورها لاحتمال حدوث "انتقال أعظم/Mega Transition"، لما يكتمل صيرورته.

وفي أثناء هذه الملاحظة الموضوعية، نشاهد كيف تتفاعل مختلف الفواعل الدولية المعولة: أفراد، شركات، منظمات دولية حكومية ومنظمات مدنية غير حكومية، جماعات محلية، جماعات وطنية/دول، جيوش، مجتمع إنساني عالمي، مع تلك التحولات أو الانتقالات العظمى، من حيث أنماط التكيف والتفاعل والتواصل والتوافق، والاستيعاب والمقاومة والصراع والتمرد، وذلك يتم كما تلاحظ في الزمن العالمي الحقيقي. حيث تنتقل العلاقات الدولية كظاهرة حديثة منذ معاهد ويستفاليا 1648، إلى "حالة ما بعد ويستفالية" أو إلى "حالة ويستفالية جديدة معولة" أو لما اصطلاحنا عليه بـ "العلاقات الدولية المعولة"، منذ أواخر القرن العشرين، وذلك في جميع أبعاد العلاقات الإنسانية والدولية: علاقات سياسية ودبلوماسية دولية معولة، وعلاقات اقتصادية دولية معولة، وعلاقات استراتيجية دولية معولة، وعلاقات ثقافية وحضارية وقيمية دولية معولة، وعلاقات إعلامية دولية معولة وعلاقات قانونية دولية معولة... الخ وتأتي هذه الدراسة لتستقرئ مجموعة من الحقائق والقوائم الدالة على تشكل جديدة للحالة الإنسانية الكوكبية المعاصرة، حيث أننا فيما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع لم نجد لها معالجة علمية جامعة لكل الانتقالات خاصة في أدبيات العلوم الاجتماعية العربية، بل وجدنا معالجات تقتصر على بعض الانتقالات العظمى دون غيرها.

ومنه، يأتي تساؤلنا الاستشكالي المركب كالتالي: ماهو "الانتقال"؟ ؛ وما خصائصه؟ ؛ ماهي "الانتقالات العظمى"؟ ؛ وماهي التداخلات بينها؟، وأي أفق مستقبلي ممكن لها لتشكل "انتقال أعظم" للحالة البشرية والدولية المستقبلية؟

وعليه، فما دامت التغيرات الكبيرة الجارية في العلاقات الإنسانية المعاصرة ومنه بالتبع في العلاقات الدولية المعولة بكل أبعادها، وبشكل أشمل في العلاقات الحضارية الكوكبية المعاصرة، تتميز بسمات العظمة والاتساع والتشابك والتركيب والتعقيد والعمق والتسارع، مع قدر عالٍ من السيولة والزئبقية واللايقينية والفجائية ؛ المفضية إلى تعاقب حالات من التأزم والاختلال النسقي في وبين جميع الفواعل المجتمعية، المتفاعلة بدورها في وبين جميع الأنساق المحلية والوطنية والإقليمية والدولية المعولة، يطبعها حالة متقدمة من الإرباك النفسي والفكري والمؤسسي والاجتماعي، والصعوبة المنهجية في تناولها والإحاطة بتفاصيلها ووكلياتها، والتي يتوقع أن تستعيد توازنها النسقي بعد مخاضها الجاري إلى أفق مستقبلي ما ؛ فإننا نفترض "العلاقات الإنسانية العالمية"، ومنها "العلاقات الدولية المعاصرة"، قد تفضي إلى "حالة انتقال أعظم"، رغم المرور اليوم بمرحلة من الفوضى النسبية الانتقالية، التي تمسك بموازين القوة فيها مجموعة من القوى الدولية الراهنة النازلة والصاعدة".

ومنه سنقوم في هذه الدراسة بالتحقق من الصحة النسبية للفرضية أعلاه، حيث أن عملية البحث في تلك "الانتقالات العظمى" يقتضي بذل جهد استقرائي يعتمد أساسا المنهج الوصفي، وفق المقاربة المعرفية الكلائية المتعددة التخصصات، مع اتخاذ الخطوات البحثية التالية: فبعد المقدمة، سنتناول في المحور الأول: ظاهرة الانتقال: مدخل معرفي شامل ؛ ثم نتناول في المحور الثاني: "الانتقالات العظمى" المعاصرة: تعريفا، توصيفا شاملا ؛ وثالثا وأخيرا سنتناول في المحور الثالث: استشراف سيورة تشكل "انتقال أعظم" كوكبي ممكن.

والآن، إلى المعالجة التفصيلية لإشكالية الدراسة:

بحكم تناولنا في دراسات أكاديمية سابقة مفاهيم وظواهر العولة والعالمية⁽¹⁾، ودراستنا لعينة من الأطروحات الأكاديمية والسياسات الحكومية والنضالات الاجتماعية الناقدة والمناهضة للعولة الأخيرة النيولبرالية⁽²⁾ ؛ فقد خلصنا فيها إلى أن البشرية عامة والعلاقات الدولية المعاصرة تحديدا، أضحت "حالة

معولة" لكنها "حالة عولة غير متوازنة ومأزومة، غير منصفة وغير مستدامة"، وأن البحث جار لبناء "عولة مستدامة منصفة إنسانية بديلة".

وفي سياقنا الزمني الكوكبي الراهن لعالم 2024، تتأكد تلك الحالة الانتقالية للنسق الإنساني الكوكبي ومنه النسق الدولي المعولم، ومنه سنتدرج في المعالجة المعرفية لهذه "الحالة - الظاهرة" التي اصطلاحنا عليها بـ "الانتقالات العظمى" المعاصرة من خلال معالجة المحور الأول الذي نتناول فيه: ظاهرة الانتقال: مدخل معرفي شامل:

أولاً: الانتقال: التعريف والمفاهيم المترادفة والمتقاطعة في الدلالة:

تُترجم كلمة "الانتقال" من اللغة العربية إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية على التوالي بـ: "The Transition" / "La Transition".

وبمجرد استخدام كلمة "الانتقال / الانتقالات" تستدعى كلمات مرادفة لها نسبياً، مثل كلمات: التغير/التغيرات: Changements/Changement، والتحول/التحولات: Mutation Mutations، والموجة / الموجات: Vagues/Vague، العبور/ العبورات: Passages/Passage، النقلة/ النقلات: Transfert/Transferts⁽³⁾، أو ما اصطلاح عليه بحالة أونتروپيا/L'Entropie⁽⁴⁾، وغيرها من المصطلحات الدالة المترادفة نسبياً.

وتشي الكلمات أعلاه بدلالات عديدة منها معاني: العبور / Ephémère والعابرية / Ephémisme، والمؤقتية / Instantanéité، مابعد / Post، والنهاية / La fin, The End (بمعنى نهاية عهد وبداية آخر)، المنعطف/Tournant، حدث حرج/Evènement Critique، قطيعة/Rupture، والتغير أو الانتقال من نمط 1.0 إلى أو نمط 2.0 أو نمط 3.0 أو نمط 4.0.. الخ...؟ ؛ ... مصطلحات تستخدم ضمن معارف عدة مثل: فلسفة التاريخ وعلم الحضارات وعلوم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلوم السياسة والعلاقات الدولية، للدلالة على سيورة قد تفضي إلى سيورة ما، مع كل ما يتصارع ضمنها من مشاريع يوطوية ورؤى ألفية خلاصية عالمية أو مصلحة مأكيا فيلية واقعية.

ثانيا: الانتقال: التعريف الإصلاحي لمفهوم "الانتقال":

"الانتقال" اصطلاحيا، هو عملية أو سيورة أو ديناميكية أو ظاهرة تغير ظرفي أو تغير هيكلية عميق وكبير وشامل وطفراوي، تشهدا سائر الظواهر المجتمعية، والفضاءات أو الأقاليم أو المجالات أو المنطقيات المجالية. بعبارة أخرى، هو تغير كمي ونوعي، قليل أو كثير، في الوضعيات الإنسانية أو الكوكبية السائدة الراهنة، يحمل عدة دلالات منها "التغير من حال إلى حال" ؛ و"التغير من فكر إلى آخر" ؛ و"التغير من زمان إلى زمان آخر" ؛ و"التغير من عالم إلى آخر" ؛ "التغير من حياة دنيوية إلى حياة أخروية" ؛ "التغير من حالة المستقر إلى حالة غير المستقر إلى حالة المستقر" ؛ "التغير من السكون إلى الحركة" ؛ من عهد، مرحلة، حقبة إلى أخرى.

أي أن "الانتقال" هو تحول أو نقلة قد تتخذ طابعا جزئيا محدودا أو طابعا شاملا لمختلف الاتجاهات والقطاعات والمستويات والعوالم والمجالات والفضاءات بالسلب أو الإيجابي، ويختلف من حيث درجة المعقولة واللامعقولة البشرية، فيتفاوت في مدى منطقيته أو مفارقته، ويختلف من حيث الوثائق والاتساقات، تصاعديا أو تراجعيا. أي هو سيورة ظواهر نحو سيورة ما: تهقرا أو تقدما، تزامنيا أو تعاقبيا ؛ تنابعا أو اطرادا ؛ تسارعا أو بطأ ؛ استمرارا أو تقطعا ؛ مدركة أو غير مدركة ؛ مستدامة أو غير مستدامة، نحو التقدم أو نحو التخلّف، نحو الأعلى أو نحو الأسفل، نحو الأسعد أو نحو الأشقى، وهو في الحقيقة حالة إدراكية نفسية للتغير ضمن السكون، وحالة سوسيولوجية بامتياز سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو الإقليمي أو الدولي. ويفترض التغير ثباتا نسبيا في النسق المعني بالانتقال، حيث يكون مفارقيا مزدوج الطبيعة: انتقال ضمن الثبات وثبات في انتقال، لأنه "إذا تغير كل شيء فلا شيء صحيح"، كما يقول الفيلسوف اليوناني أرسطو.

وبما أن موضوع "الانتقال" قد أضحى موضوعا بحثيا حاضرا في "العلوم الإنسانية والاجتماعية"، ومنها حقل العلوم السياسية والعلاقات الدولية، وحتى في "العلوم الصلبة والدقيقة والتكنولوجية"، التي ما تفتأ تؤثر تداعيات تطبيقاتها الطفراوية على الحياة الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، حين بدأت تنتقل من مجرد استكشاف الظواهر الطبيعية إلى التلاعب مخبريا وتنمويًا بمكوناتها الأصلية، فقد تعددت التعريفات الاصطلاحية له، بين متوسع ومضيق في الرؤية إلى حقائقه وأوهامه:

جدول رقم 1: منذ ثلاثة عقود: الإنسانية تستقبل تغيرا حضاريا جديدا:
باراديمات "العولمة" و"الثورة الصناعية الرابعة"، وتغير مفاهيمي شامل

...عن بعد / ..à distance	التعلم عن بعد -الاستشفاء عن بعد - العمل عن بعد -الإنتاج عن بعد -التسويق عن بعد -الإدارة عن بعد -المحاضرة عن بعد.
ما بعد... / Post..	ما بعد الصناعة - ما بعد الحداثة - ما بعد الفورية - ما بعد التيلورية - ما بعد الكينزية - ما بعد الكولونيالية - ما بعد السياسة - ما بعد الكتابة - ما بعد الحرب الباردة - ما بعد الرمز - ما بعد البترول - ما بعد الإنسانية - ما بعد عصر المعلومات - ما بعد الإنترنت - ما بعد الإرهاب - ما بعد الصحة الإسلامية - ما بعد الدولة القومية - ما بعد القومية - ما بعد العلمانية - ما بعد المادية - ما بعد الأيديولوجيا - ما بعد الرأسمالية
منفيات "...بلا..."/ Sans..	مصانع بلا عمال -تعليم بلا معلمين -أفلام بلا ممثلين -برمجة بلا مبرمجين -مركبات بلا سائقين -مدرسة بلا أسوار -مجتمع بلا نقد -أفلام بلا أحبار -هواتف بلا أرقام -كتابة بلا جدران -مكتبات بلا رفوف -موظفون بلا مكاتب -رواية بلا نهاية -سياسة بلا نواب -ترحال بلا انتقال -حضور بلا وجود -جيرة بلا قرب -جنس بلا رفقة -صحفيون بلا حدود - أطباء بلا حدود - حوارات بلا حدود
نهاية.../ fin de	نهاية الأيديولوجيا -نهاية التاريخ -نهاية الجغرافيا -نهاية السياسة -نهاية القومية -نهاية العمل -نهاية المسافة -نهاية المكان -نهاية المدنية -نهاية المدرسة -نهاية المدرس -نهاية الكتاب -نهاية المؤلف -نهاية الورق -نهاية الفيزياء -نهاية المكتبة -نهاية المتحف -نهاية الميتافيزيقا -نهاية الأضداد -نهاية الطبقة المتوسطة -نهاية الوسطاء -نهاية الذاكرة -نهاية الفلسفة -نهاية الإضراب -نهاية النقابة -نهاية الدولة القومية -نهاية دولة الرفاهية -نهاية المخزونات (بداية الإنتاج للطلب) -نهاية ديكتاتورية البروليتاريا (بداية ديكتاتورية السوق = الأمية الجديدة)
..الإلكتروني/ السبراني / الافتراضي/ الرقمي Cyber...	الثقافة السبرانية -السوق السبرانية -الفضاء السبراني -الأمن السبراني -الحرب السبرانية -الديمقراطية الإلكترونية -الحكومة الإلكترونية -الجمهورية الإلكترونية -البورصة الإلكترونية -البنك الإلكتروني -الجامعة الافتراضية -التعليم الإلكتروني -الكتاب الإلكتروني -الجريدة الإلكترونية -المجلة الإلكترونية، المنصة الرقمية، العملة الرقمية المشفرة...الخ
...عابر(ة)...trans...	علاقات عابرة للقارات - وعابر للقوميات - وعابر للغات وعابر للتخصصات - عابر للمحيطات والبحار - عابر للإقليم - عابر للصحراء - عابر للفضاء

متعدد الأعراق - متعدد القوميات - متعددة الأديان - متعددة الثقافات - متعددة اللغات - متعددة الجنسيات - متعددة الحضارات - متعددة الإثنيات - متعدد الوسائط ... الخ	متعدد(ة)...multi...
شركات متعددة الجنسيات - فوق القوميات - فوق الدول الوطنية... الخ	متعددية...فوق/ ...Supra
يعبر بالرموز 1.0 أو 2.0 أو 3.0 أو 4.0 أو 5.0، عن مراحل التطور في ميادين حيائية كثيرة، مرتبطة بالانتقال العظيم من نمط إلى نمط مثل: الثورة الصناعية 1.0، 4.0؛ الجامعة 1.0 إلى 4.0 الخ؛ الإدارة من نوع 1.0 إلى 4.0 الخ؛ التربية والتعليم 1.0 إلى 4.0 الخ؛ الفلاحة 1.0 إلى 4.0 الخ؛ المجتمع 1.0 إلى 4.0 الخ؛ الثقافة 1.0 إلى 4.0 الخ.	التغير من نمط 1.0 أو نمط 2.0 أو نمط 3.0 أو نمط 4.0 .. الخ

وفي كتابه القيم: تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، عدد الخبير الاستشاري الفلسطيني وليد عبد

المفاهيم الدالة على التحول نحو العالمية والعولمة (الكلانية)

المفهوم	فحوى نمط التحول
- النظام ما بعد القومي - الحكومة العالمية - المجتمع العالمي - الاعتماد المتبادل (العالمي) - النظام العالمي - العقل العالمي	- تجاوز الدولة القومية كوحدة للتحليل - التوجه نحو مركز عالمي قرار واحد - تأكيد مقومات الاعتماد المتبادل والتفاعل والديناميكية - اعتبار المنفعة المشتركة هي أساس العلاقة - الترابط العالمي بأشكاله المختلفة - منظومة معرفية واحدة

الجدول الثاني: المصدر: وليد عبد الحمي، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، ط1، 1414 هـ/1994 م، ص87.

الحمي⁽⁵⁾، أوائل التسعينيات، مجموعة من المفاهيم الدالة على تلك السيورة الانتقالية الإنسانية والدولية، كما يلي:

ومنه، يعتبر خبراء "المركز الأوروبي للانتقال"، أن "الانتقال": مسألة تجسيد فعلي لمدلول "التنمية المستدامة"، التي ظهرت كمصطلح ثم كسياسات واستراتيجيات منذ بدايات الثمانينيات مع صدور تقرير برانتلاند / Brundtland⁽⁶⁾، الموسوم بـ "مستقبلنا جميعا"، عام 1982، ثم إنشاء اللجنة الأومية للبيئة والتنمية عام 1987، ثم انعقاد "قمة الأرض" الأومية في ريوديجانيرو البرازيلية عام 1992. فأمام الحالة الاستعجالية الأيكولوجية والتغير المناخي [أو بالأحرى الاختلال المناخي] وندرة الموارد، فقد تكاثر مبادرات الانتقال من أجل ضمان مرونة الجماعات والمجتمعات ؛ لمنحها القدرة على الفعل بالرغم من الأزمات الاقتصادية و/ أو الأيكولوجية الخارجية.⁽⁷⁾

وقد أعطى الأستاذ البريطاني المتخصص في الزراعة الدائمة / Permaculture، روب هوبكينز/ Rob Hopkins، للمصطلح دلالة النظرية المهمة ولكن "المحدودة"، متحدثا عن "الانتقال الأيكولوجي"، في كتابه المعنون: "دليل الانتقال: من الاعتماد على النفط إلى المرونة المحلية/ The Transition Handbook: From Oil Dependency to Local Resilience"، والصادر عام 2008.⁽⁸⁾

حيث طبق المصطلح في البداية، على انشغالات المواطنين المرتبطة بتنمية المدن في مواجهة تحدي ارتفاع أسعار النفط وتنامي الاختلالات المناخية والحوادث النووية، خاصة بعد تسونامي فوكوشيما مارس 2011 ؛ ولكن شيئا فشيئا حدث توسع في استخدامه، ليضم ذلك "الانتقال" ليس فقط "الانتقال الأيكولوجي" بل أيضا "الانتقال الاقتصادي" و"الانتقال الاجتماعي" وغيرها من الانتقالات الكبيرة ؛ ويتضمن في دلالاته، ثلاثة انتقالات متزامنة مترابطة: "الانتقال الطاقوي"، بترشيد الاستهلاك، تفضيل الطاقات المتجددة، ...)، و"الانتقال الصناعي"، من خلال إنتاج المنتجات المستدامة والقابلة للصيانة والتدوير، في أفق اقتصاد أخضر، ذي منفعة لسوق العمل و"الانتقال الزراعي الغذائي، باستبدال الزراعة المستهلكة للطاقة بزراعة بيولوجية ؛ كما التحقت قطاعات أخرى بضرورة الانتقال كقطاع العمران والمعمار والمواصلات والسياحة والخدمات المالية والتأمينات المختلفة.⁽⁹⁾

كما أصبحت دلالة مصطلح "الانتقال الأيكولوجي" المتوسعة تنحو منحى كلانيا، أي منحى يركز على رصد وتقييم واستشراف الترابطات والتفاعلات بين جميع الوحدات والتخصصات والعوامل، لتضم أيضا الانتقالات التربوية والثقافية والسياسية والأمنية، التي ينشد من خلال طرحها تحقيق الإنصاف

والعدالة المناخية والتكامل والمشاركة المواطنة، للاستجابة لتحديات الأزمة النسقية للأنماط الحضارية الصناعية المتراجعة من نوع 1.0 و 2.0 و 3.0، والاستفادة من مزايا الانتقال نحو الأنساق أو الأنماط الحضارية الناشئة أو الصاعدة من نوع 4.0 أو النوع 5.0 ؛ المصاحب للانتقال الرقمي الجاري.

ثالثا: الخصائص العامة لظاهرة "الانتقال":

لظاهرة "الانتقال" في العوالم الصغرى والكبرى، المادية والطبيعية والإنسانية، خصائص عامة وجودية وبنوية ومعيارية قيمية، مثل: التسارع، التركيب، التعقيد، العابرية، التعدد، التنوع، النظامية أو النسقية. كما أن لكل انتقال: منطلقات، غايات، أهداف، وسائل، موارد، ميزانيات تكاليف وأرباح أو خسائر. أي للانتقال نتائج وتكيفات يتخذها عدد من الفاعلين، والسلطات المسؤولة عن إدارة أقاليم لجماعات محلية أو وطنية، وأزمة وأجندات وتراثات مشتركة وطنية أو عالمية. أيضا للانتقال تأثير بقيم ترتبط بعدة عمليات وخصوصيات وبمصالح مسمكين بعدة قطاعات إنتاجية أو ربحية مشروعة وغير مشروعة. كما أن لكل انتقال مجموعة تحديات ورهانات وعوائق، كما تشكل أيضا رافعات وفرصا ومخاطر وتحديات سواء بسواء.

رابعا: فاعلو ظواهر "الانتقال":

لكل سيرورة "انتقال" إنساني اجتماعي سياسي حضاري: فاعلون محركون ذوو دوافع وقيم وغايات وأهداف ومصالح وإمكانيات ووسائل مختلفة، ... فاعلون يدخلون بسبب التفاوت المتعدد الأبعاد بينهم في الإمكانيات والرهانات والاستراتيجيات والسياسات في سباقات وتنافسات وربما نزاعات وصراعات أيديولوجية ومصلحية وقانونية، فيخرجون منها فئات مستفيدة رابحة منتصرة وفئات خاسرة مهزومة، وفئات متكيفة براغماتية وربما منافقة مع سلطة وأمر واقع المبادرين المنتصرين.

خامسا: المستويات النسقية لظواهر "الانتقال":

لظاهرة "الانتقال" في المجتمعات الإنسانية، "مستويات انتقال / Les échelles de transition"، أي مستويات نسقية، تتراوح بين مستوى نسق حي، نسق المدينة ونسق القرية والريف ؛ أو مستوى النسق البلدياتي، ومستوى نسق الولاية أو المقاطعة أو المحافظة، ومستوى نسق الإقليم أو الجهة، ومستوى نسق الدولة الوطنية، ومستوى نسق النظام الإقليمي، ومستوى النسق القاري أو بين قاري، ومستوى نسق النظام الدولي، إلى أخيرا، مستوى نسق النظام الإنساني الكوكبي أو المجتمع العالمي.

وتحت تأثير ظاهرة "الاعتماد المتبادل" أو "الارتحان المتبادل" و"الترايط" الاتصالي و"التعولم" المتنامي للعلاقات الإنسانية برغم مفارقة حقائقها الانشطارية والترايبية المنتجة للتجانس واللاتجانس، تحدث سيرورة الانتقال من نسق كلي إلى نسق فرعي، ولكن تختلف قوة التداعي على تلك المستويات / الأنساق، أي تختلف درجات ووتائر سرعات وكثافة التفاعلات والاستجابات رفضا وقبولا، كليا أو جزئيا.

سادسا: حجم ظواهر "الانتقال":

يتخذ أي انتقال في بدايات تشكله حركة ميلاد بطيئة بيزوغ إشارات صغرى أولى له، من خلال حدوث أحداث وتغيرات صغرى وفي مستويات محلية أو زمنية محدودة، مشكلة ما يسميه متخصصو الاستشراف المستقبلي بـ "الاتجاه البازغ/ الصاعد"، وربما اتسع مداه ليصبح عبر التراكم والانتشار والمحاكاة والتسويق تغيرا قطاعيا فرعيا جزئيا ليشكل "اتجاها صاعدا مؤكدا"، ثم تغيرا كبيرا جدا مشكلا "اتجاها ثقيلًا عظيمًا"، يمس بآثاره وتداعياته عدة قطاعات ومستويات وأقاليم وفئات وطبقات اجتماعية وفاعلين، ثم قد يتحول إلى موجة طاعية أو اتجاه انتقالي أعظم مهيمن، شامل، معولم، كلي، إن وعيناه بمنظور معرفي كلايني.

سابعا: مؤشرات قياس ظواهر الانتقال:

دراسة الانتقال، تسمح بالتفكير والبحث في سيرورة ومستقبلات ظواهر التغير الاجتماعي الذي تحركه عوامل عدة، وليتم ذلك بشكل أكثر موضوعية مع التقليل من الانحيازات المعيارية، تقاس سيرورة الانتقال في الأنساق الاجتماعية في أي مستو من المستويات الأقاليمية الدولية من خلال مجموعة من المؤشرات الكمية التي تضع ترتيبات لمدى الاستجابة لمقاييسها ومعايير. فقد تناسلت صناعة المؤشرات خلال العقود الأربع الأخيرة وتكاثرت لتشمل معظم جوانب الحياة المعاصرة، فأصبحت لها أهمية في تصنيف الكيانات الاجتماعية المختلفة الدول والمجتمعات والشركات والجامعات والصناعات إلى راکدة أو متحركة، صاعدة أو متراجعة، متقدمة أو متخلفة ؛ مثال ذلك: مؤشر التنمية الاقتصادية، مؤشر العولة، مؤشر الفساد والشفافية، مؤشر الاستقرار والعنف والجريمة، مؤشر الرقمنة، مؤشر الحوكمة، مؤشر العسكرية، مؤشر الحرية ومؤشر الديمقراطية، مؤشر السلام، مؤشر العبودية الدولية، ... الخ

ثامنا: أبعاد أو مجالات أو قطاعات ظواهر "الانتقال":

يتميز النسق الإنساني عامة في حقائقه الوجودية أو التكوينية وفي حقائقه الحركية الديناميكية الصراعية والتكاملية، بخاصية التعدد والتنوع ؛ أي أنه في الواقع المعاصر عبارة عن "توليفة من الانتقالات

المتداخلة والمتزامنة". ومنه فإن الانتقال الإنساني يتسم وجوديا أو تكوينيا بخاصية تأبى الاختزال والتبسيط والأحادية والخطية والحتمية. لذلك تتداول الأدبيات العلمية المتعلقة بظاهرة الانتقال خاصة في العصر الحديث المتميز بخاصة الاعتماد المتبادل بين فاعليه وأقاليمه في ظل الحضارة الكوكبية الراهنة، تتداول مقارنة ظاهرة الانتقال بدلالة الجمع، أي بمصطلح "الانتقالات"، في إشارة إلى حقائق اتجاهات: الانتقال الطاقى والانتقال الرقمي والانتقال الجيوسياسي والانتقال السياسي الانتقال الديمقراطي، الانتقال الاقتصادي، ... الخ، حيث تلمس تلك الانتقالات مجالات وسياسات إدارة الحياة العامة، مثل: التغذية، التربية، البيئة، السكن، الإدارة، المواصلات، الطاقة، المدن، الصحة، الاقتصاد... الخ.

تاسعا: منظورات ونظريات علم دراسة ظواهر "الانتقال":

اهتم مبحث علمي من مباحث أو موضوعات العلوم الاجتماعية عامة، خاصة منها علم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم السياسة، وعلم الإدارة والتنظيم وعلم القانون وخاصة الدستوري، بـ"علم الانتقال/Transitologie"⁽¹⁰⁾. وهو علم دراسة المبادئ المفسرة لسيرورات التغير، دوافعها، حوافزها، عوائقها، قيمها، آلياتها.

بالنظر لحدوث الانتقال في أكثر من مجال وقطاع وبعد من مجالات وقطاعات وأبعاد الحياة الإنسانية، فإن المجتمعات العلمية تتناول سيرورات ومسارات وطرق ونماذج الانتقال أو التحول أو التغير أو التطور، من منظورها المعرفي والعلمي والمفاهيمي وتقيسه بمجموعة من القوانين العلمية المنطقية أو الرياضياتية الإحصائية أو الكيفية المعيارية.

الواقع، أن الانتقال موضوع بحثي حديث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث تسمح دراسته، بالتفكير والبحث في أسباب ظواهر التغير والتحول والتطور والعبور القسري أو الإداري التكميلي. ومنه، يتناول المتخصصون في مختلف التخصصات العلمية ظواهر الانتقال حسب منظورات العلمية المتخصصة سواء في العلوم الاجتماعية (السوسيولوجية، الديمغرافية، الأنثروبولوجية، العمرانية، الاقتصادية، السياسية، الجيوسياسية، التاريخية، الاستشرافية، الحضارية، الثقافية، الدينية، ... الخ) أو في العلوم الطبيعية والمادية والتكنولوجية تدرسه (الرياضيات، البيولوجيا، الكيمياء، الفيزياء، الإعلام الآلي، ... الخ). ومنه، تعدد المناظير أو المقاربات المعرفية لدراسة ظواهر الانتقال في مختلف الأنساق الطبيعية والمادية والإنسانية: المنظور الجغرافي للانتقال، المنظور السياسي للانتقال، المنظور الديني للانتقال، المنظور الحضاري للانتقال، المنظور

المناخي للانتقال، المنظور الإيكولوجي للانتقال، المنظور البيولوجي للانتقال، المنظور الفيزيائي الكيماوي للانتقال، المنظور القانوني والدستوري والمؤسسي للانتقال، المنظور الاقتصادي للانتقال، المنظور الاستراتيجي، العسكري، الأمني للانتقال، ... الخ.

فدراسة الانتقال تقتضي تحليل العلاقة بين المجتمعات والفضاءات أو المجالات أو المنطقيات المجالية، وتحليل حالات التفاعل بين الطبيعة والمجتمع، بين الداخل والخارج، بين المحلي والكوكبي، بين التاريخي أي الماضي والاستشرافي أي المستقبل. وتحليل الصراعات والنزاعات والتنافرات والمقاومات والتنافس والتحالقات والتوافقات المصاحبة لتلك الانتقالات. وتحليل وتصنيف النماذج والتجارب والأنماط التاريخية للانتقالات، وكيفيات تبلورها زمكانيا. ومنه اختلاف الباحثين المتخصصين في علم الانتقال، في وحدات الدراسة التي ينصب عليها التحليل للسيرورات الانتقالية، حيث تعددت المعايير والمقاربات:

✓ هل ينصب التحليل على الأفراد أم على البيئات المجتمعية والثقافية والحضارية، أم كلها معا ؛
✓ أم ينصب التحليل على المؤسسات القائمة أم على قيم واستراتيجيات وسلوكيات وخيارات الفاعلين المتنافسين وربما المتصارعين، مع التمييز بين مواقف وتوجهات وحسابات وألعاب وترجيحات وموازنات التحكيمات العقلانية للمكاسب والخسائر القريبة والمتوسطة والبعيدة الأمد، في القيم المعنوية والمادية، لأولئك الفاعلين وأصنافهم: راديكاليين ثوريين أو معتدلين إصلاحيين أو مثاليين أو واقعيين يوطوبيين أو ديستوبيين أو عنفيين أو سلميين أو تحرريين مستقلين أو محافظين أو صقور أو حمائم استئصاليين أو حواريين تصالحيين، أو خصوصياتيين قوميين أو أممين عالميين أو محليين أو عولميين أو أحاديين إقصائيين منحازين أو تعدديين تضمينيين غير متحيزين أو حتمويين أو غايويين أو نجبويين أو شعبويين ؛

✓ أم هل ينصب التحليل على دراسة وزن العوامل التاريخية الماضية، أم على وزن العوامل الحاضرة، بين العوامل المفسرة للسيرورات الانتقالية ؛

✓ أم ينصب التحليل على دراسة الحتميات التاريخية والمجتمعية والطبيعية التي تخضع لها ظواهر الانتقال ؛
✓ أم ينصب التحليل على استشراف الاحتمالات التي تعتمل فيها، مع تمييزها عن اللايقينيات والأسئلة الكبرى المرتبطة بها واعتبار القطاعات الممكنة والمحتملة الناتجة عن أثر الفراشة ؛

✓ أم ينصب التحليل على الشروط الظرفية والسياقية الهيكلية أم على الآليات أم على الآثار والنتائج أم على الغايات، ومنه على العوامل المحققة للفعالية والكفاءة في عمليات الانتقال ؛

✓ أم ينصب التحليل على العوامل الداخلية للدول الوطنية أم على العوامل الخارجية أي لتأثير ونفوذ وتغلغل واختراق القوى الخارجية الدولية وغير الدولية ؛ أم هل ينصب التحليل على طبيعة المناهج والاقترابات والتقنيات البحثية المستخدمة لدراسة ظواهر الانتقال في المجتمعات العلمية حسب كل تخصص، حيث يستمر الجدل بين الباحثين في نظريات الانتقال، ومدارسهم السلوكية والوظيفية والتاريخية والمقارنة والمؤسسية القانونية لإيجاد قوانين موضوعية اتفافية علميا، حاکمة للسيورورات الانتقالية في المجالات التكنولوجية والصناعية والاقتصادية والإدارية والسياسية، قوانين الدفع والكبح، قوانين التسريع والتباطؤ، قوانين التقدم والتراجع، قوانين النشوءات والطفرات، قوانين الانتظامات والاتساقات والعشوائيات، قوانين التغير والتكيف، قوانين المردودات المتناقضة والمردودات المتزايدة، وأثر الصدف والقطائع التاريخية وأثر جدلية صراع الإدارات البشرية وأثر الحتميات والتسلسلات والتشعبات التاريخية والديناميكيات النسقية المختلفة في ذلك.

ومنه، أهمية مراجعة واستحضار تلك الحوارات والنقاشات والمساهمات النظرية حول السيورورات الانتقالية، كمثال: نظرية اعتماد المسار أو مسار التبعية/Path Dependency Theory⁽¹¹⁾ ونظرية المنعطفات أو المواقف أو الأحداث أو المراحل أو الأزمان النسقية الحرجة أو الحاسمة، في أدبيات العلوم الاقتصادية والسياسية والتاريخية المقارنة وفي فلسفة التاريخ والحضارات، نظرية التطور ونظرية البصمة البيئية، في علم الاجتماع الاقتصادي وعلم اجتماع التنظيم والإدارية، ونظرية فراشة الابتكار، نظرية الحتمية التاريخية، نظرية تأثير الشبكة، نظرية تكلفة الفرصة، نظرية طغيان القرارات الصغيرة، التي لا يسعنا المقال لتفصيل تعريفها كل على حدة.

عاشرا: القيم أو المبادئ المرجعية لظواهر "الانتقال":

يُفترض في أي "انتقال" إنساني، وجود مجموعة من القيم والمسلمات والمبادئ المرجعية والمعايير والأخلاقيات والآداب والأعراف والسنن أو القوانين الحاكمة والمحكمة فيه، حيث يتم أي انتقال إنساني من خلال تبني رواده المقاولين الاقتصاديين وقادته الاجتماعيين والسياسيين وحقوقه المناضلين، يوطويعات محددة، واستراتيجيات معينة، تركز على جملة قيم مرجعية تتفاوت في طريقة سبكها وترتيبها في هرم سلم

القيم المجتمعية والدولية والدولية، بين قيمة عليا مركزية رئيسة تهيكّل مجموع حركية المنظومة المجتمعية الوطنية أو النسق الدولي وقيم تابعة أو ثانوية لها، ممثلة في القيم التالية: قيمة الحرية (الحريات الفردية والجماعية/ الفكرية، الدينية، السياسية، الاقتصادية، الإعلامية... الخ) ؛ قيمة العدالة (العدالة القضائية والعدالة الاجتماعية والعدالة الإلكترونية ...) ؛ قيمة المساواة (المساواة في الطبيعة البشرية أو الفطرة، المساواة القانونية، المساواة السياسية بين جميع الفئات والطبقات والأقوام) ؛ قيمة الأخوة (أُخُوَات: الرحم والدين والوطن)، وغيرها من القيم.

فمثلا إذا أخذنا قيمة العدالة كإنصاف، فإن "الانتقال المنصف" يتطلب العمل على ترابط مختلف الانتقالات لتفادي الآثار المتناقضة لتلك الانتقالات ذات الرؤى القيمية غير المنسجمة، ومنه تطرح أدبيات الانتقال مسألة "المسؤولية" عن الفعل الانتقالي، والحرص على عدالة الانتقال.

ومنه أهمية تنضيج الوعي الإنساني، بمخاطر الانتقالات غير المفكر فيها، ومنه، علاقة أي انتقال إنساني ومجتمعي أو حضاري بمدى استيعاب المنتقلين لحقيقة المشكلات الواقعية التي يعيشونها، ومعرفة كيف عملت وتعمل نظمنا العقلية / القيمية في فهم المشكلات الحياتية ومنه صناعة مستويات وعينا بها وبكيفية أو استراتيجيات التعامل معها وإدارتها.⁽¹²⁾

إن الانتقال الذي تباشره قوى بشرية متنافسة، تنشُد بالضرورة غايات يوطوبية، وتصوغ له أيديولوجيا معبئة للطاقات البشرية، تستند إلى توليفة عناصر فكرية وعلمية وأسطورية ومادية واقعية ملموسة، فتضع في هرم القيم لمنظومة الانتقال المنشود قيمة مرجعية عليا وتراتبية قيم ثانوية. كقيمة الحرية أو الأخوة أو المساواة أو العرقية أو المصلحة النفعية، سعيها منها لجلب مصالح ودرء مفسدات وتمكين مصالح قوى وإجهاز على مصالح قوى منافسة أو مناورته، .. الخ

ولكن ليس على القوى المجترحة لسياسات الانتقال في أي مجال أو قطاع أو نسق أن تتولى مهام الاستجابة الإيجابية عن كل أنواع التفاوتات أو اللامساواة المحتملة والممكنة، لكن عليها أن تأخذ الآثار السلبية المحتملة أو الناتجة فعليا عنه في الحسبان، لتكون سياسات فعالة. ومنه، أهمية وجود حماية اجتماعية واسعة للأفراد والأسر لتخفيف الهشاشة في مواجهة المخاطر الناتجة عن الانتقالات وتحقيق قدر عال من العدالة الاجتماعية. لذلك وجدنا أن المؤسسات العمومية والخاصة البانية لاستراتيجيات الانتقال في أي مجال تضع مدونات وأدلة/ Guides، تحدد فيها "الممارسات الحسنة/ Les Bonnes Pratiques،

لتوجيه الفاعلين لأحسن السبل لتحقيق غايات الانتقال. ومن ذلك مثلاً وضع منظمة الأمم المتحدة لما سمي بـ "الأهداف العالمية الأممية للتنمية المستدامة (= الأهداف السبعة عشر/17)".

هي إذا انتقالات مرغوبة، ذاتية، إرادية وانتقالات غير مرغوبة، مفروضة، قسرية، لا إرادية، غير منصفة، غير تشاركية، غير متقاسمة، ظالمة، غير ديمقراطية، ومنه أهمية النظر في سلم قيم الانتقال، ومصدرها. ولذلك نجد أن الانتقالات من منظور القيم تظل محل جدل بين المتمنين لفئات اجتماعية، طبقات اجتماعية، وشعوب وثقافات ودول نامية، دول متقدمة، شركات، جماعات محلية... الخ.

إحدى عشر: الانتقال كوليّد أزمة وكولاد لتجارب ونماذج الانتقال:

لا يمكن أن يكون الانتقال من وضعية ما إلى أخرى في أي زمان، إلا لوجود حالة أو سياق أزمة أو نزاع أو صراع أو حرب أو حالة اختلال أو تزامن أزمات تراكمية هيكلية عميقة ؛.. ذلك أن الأزمات تكشف لقادة الدول والفكر ومسيري الشركات والمنظمات، مجموعة من الاختلالات أو اللاتوازنات في الأنساق أو النظم، دافعة نحو التغيير النظمي والقيمي.. وإعادة النظر في المعايير المرجعية السائدة المؤطرة للسلوكيات الخاصة والعامة، وتجعل قادة المراحل والمؤسسات والتشريعات والسياسات الانتقالية يتفاوتون في اتجاهات التعاطي معها بين الإصلاحية المتدرجة أو الثوري الراديكالي، مضطرين لمباشرة عملية مؤلمة سماها الاقتصاد النمساوي جوزيف شومبيتر "الهدم البناء" ؛ وسماها كارل ماركس بالخلاصة أو الطباق المتولد عن فكرتين أو مشروعين متناقضين ؛ ومنه، انتهاج عملية التغيير على أساس نقض النموذج المجتمعي أو الحضاري السابق أو السائد، وبناء النموذج البديل أو النماذج البديلة، من خلال إعادة النظر في المعايير المرجعية السائدة المؤطرة للسلوكيات الخاصة والعامة، مع احتمال ظهور حالة من الصراع بين المتبنين للنماذج البديلة المثلى للانتقال المنشود.

تجارب أو مخابر الانتقال المنصف الإرادي المفكر فيه / وتجارب أو مخابر الانتقال غير المنصف المفروض غير المفكر فيه بين المجتمعات المتقدمة والنامية... من خلال فرض معايير الانتقال البيئي أو الطاقوي والديمقراطي. حيث أن إطلاق تجارب الانتقال الطاقوي في الدول المستهلكة للطاقة الأحفورية جاء كمحصلة لتتالي أزمات الصدمات النفطية أي صدمات ارتفاع أسعاره وتذبذبات تدفقاته بفعل النزاعات الجيوسياسية في دول المصدرة له كأوييب، منذ السبعينيات، وتتالي ظواهر الاحتباس الحراري منذ الثمانينيات إلى الحرب الروسية الأوكرانية فيفري 2022 ؛ بينما في الدول النامية المصدرة للطاقة الأحفورية

فجاء كمحصلة لتتالي صدمات تراجع أسعاره باعتبارها دول معتمدة على مصدر شبه مهيمن للمداخيل الوطنية من العملة الصعبة، كالجوازر وفنزويلا... الخ. أزمت لكن فرص للإصلاح وإطلاق استراتيجيات انتقال عسيرة لكن حيوية.

ومنه أهمية دراسة نماذج الانتقال من إلى، وأهمية دراسة الخطابات الانتقالية المؤيدة والناقدة والمناهضة ومنها أدبيات الرؤى المؤامراتية التي غالبا ما تنتج وتنتشر وتداول خلال مراحل الانتقال، والتي تعبر من بين ما تعبر عن حالات الإحباط لدى فئات معينة من التداعيات السلبية الأزموية لحالات من الانتقال، إذ لكل انتقال راجح وخاسرون، كما حدث ويحدث خلال الثورات الكبرى كالفرنسية والروسية وحوادث 11 سبتمبر 2001 وجائحة كوفيد-19.

وكما أن إعلان أو بناء استراتيجية أو سياسية حالة انتقال ما، يعني الانتقال من منظور إرادة متزعمي الإعلان والسياسة والاستراتيجية، بما يضمن حدوثه تحت مراقبتهم وسيطرتهم، بحيث يحددون محتواه ومنطلقاته ووسائله وغاياته وأهدافه وتوقيتاته بما يحفظ ويضمن استمرار النظام القائم⁽¹³⁾، أي أن الانتقال قد يعني الانتقال أي الاستمرارية ضمن التغير، أي التغير الجزئي لا الكلي، التغير الشكلي لا المضموني، التغير المرغوب من قوى سلطة الانتقال لا من جميع القوى المعنية بآثاره وتداعياته. ومنه، أهمية التعرف على ما إذا كان الانتقال حمال تحرر أم حمال تبعية ومزيد استعباد الانسان لأخيه الانسان.

إثنا عشر: سمة الحركية في ظواهر "الانتقال":

يمكن أن يكون "الانتقال" في حالات تاريخية ومجتمعية شاملا أو متعدد، ومنه يصبح حركية متعددة السيوروات والوتائر والمسارات والنماذج المتنافسة وربما المتصارعة ومنه العلاقة بين الانتقالات: المناخي والبيئي والطاقي والعمراني مثلا. علاقة قد تكون في حالة تناغم وانسجام وتعاضد أو تكون في حالة تناقض وصراع ولا تناسق. لأسباب عدة تتعلق بمدى اتفاق فاعلي أي نظام مجتمعي أو دولي أو دولي على إدارة التفاوض بينهم حول سياسات الانتقالات المتزامنة المتداخلة المتلازمة المطردة.

"الانتقال" هو سيورة ظواهر، فهو إما سيورة تفهقرية، تراجعية أو تقدمية، تطويرية تصاعدية، متسامية أو متدنية، تتجه نحو الأعلى أو نحو الأسفل، نحو الأسعد أو نحو الأشقى، نحو السلام أو نحو الحرب والصراع.

ثلاثة عشر: "الانتقال" في الحياة السياسية (محليا، وطنيا، إقليميا ودوليا):

نعني بـ"الانتقال" في الحياة السياسية، ذلك التحول الإرادي السلمي أو العنيف، الذي يمس الأجهزة الحكومية والحركات الاجتماعية والعلاقات السياسية الدولية ؛ حيث تتداول في عصور الانتقال السياسي الدولي والدولي مصطلحات: حكومات انتقالية، مراحل سياسية انتقالية، دول في حالات انتقال سياسي أو انتقال ديمقراطي، شركات انتقالية، أحزاب أو حركات سياسية انتقالية، مجتمعات انتقالية، أسر انتقالية، مواطنون انتقاليون، .. الخ.

ومنه، انتشار استخدام تسميات سياسية جديدة في تسمية الوزارات والوكالات العامة في حكومات عدة عبر العالم: وزارة الانتقال الرقمي، وزارة الانتقال الطاقوي، وزارة الانتقال الإيكولوجي، في حكومة الرئيس ماكرون في عهده الثانية 2022، في حكومات الرئيس تبون 2020 إلى اليوم. ومنه مثلا، تسمية: "المنتدى الأوروبي للانتقال الإيكولوجي والحركات الجديدة"، الذي أطلقته المفوضية الأوروبية عام 2022.

كما تزايد استخدام مصطلح "الانتقال" كرهان تغييري إصلاحي، في تسمية الحركات السياسية والمدنية المعارضة للأيديولوجيات والنظم المهيمنة، ومنها حركات مناهضة العولمة النيولبرالية مثل: "الحركات الدولية للمدن الانتقالية"، في بريطانيا 2005، التي أسسها عالم الزراعة الدائمة Permaculture/ البريطاني روب هوبكينز/Rob Hophins، الذي وضع كتابه "دليل الانتقال: من الاعتماد على النفط إلى المرونة المحلية"، عام 2008 ؛ ومثله على مستوى الحركات المدنية "المركز الأوروبي للانتقال/ European Observatory of Transition"⁽¹⁴⁾، الذي يعتبر في تعريفه بنفسه، " باعتباره منصة لتقديم المعلومات والتوجيهات وتشجيع النماذج الساعية لوضع فكرة الانتقال نحو تنمية مستدامة في المستقبل، في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية ؛ معتبرا أن مرحلة الانتقال أو التحول البيئي، "هي مرحلة إطلاق المبادرات المجتمعية" (...)، "من خلال البدء في المدن الراغبة في معالجة تغير المناخ والدورة النفطية، حيث بدأ ينتشر مفهوم التحول البيئي تدريجياً إلى مجالات اقتصادية واجتماعية مختلفة. ويشير التحول البيئي إلى انتقال الطاقة (كفاءة الطاقة، وتفضيل الطاقات المتجددة)، والانتقال الصناعي (الإنتاج المحلي للسلع القابلة لإعادة التدوير في منظور الاقتصاد الدائري) وكذلك التحول الغذائي - الزراعي (عبر

استبدال الزراعة الصناعية بأخرى عضوية) ؛ هنا، نلاحظ ظاهرة تعاضد الانتقالات المقصودة من وراء استخدام مصطلح "الانتقال" بالمفرد.

ومن جهة أخرى نلاحظ كيف تتأسس سيوررات الانتقال في الأدبيات المتعلقة بالعلاقات الدولية باسم "الانتقال إلى النسق الدولي المتعدد الأقطاب"، من خلال الخطاب البوتيني الروسي ومساعي مؤسسة مجموعة البريكس للدول الصناعية الصاعدة الرافضة للهيمنة الأمريكية والغربية. بعد أن خفتت أدبيات "الانتقال الديمقراطي"، في أعمال علماء السياسية المتخصصين في دراسة ظواهر الانتقال الديمقراطي منها رواج نظرية صامويل هانتينغتون حول موجات الانتقال نحو "الديمقراطية التعددية" تحديداً، خاصة بعيد انهيار المعسكر الشيوعي وانتقال دول أوروبا الوسطى والشرقية وآسيا الوسطى نحو تبني النظام الديمقراطي التعددي أو ما سمي دعائياً بـ "ديمقراطية السوق الحرة"، ثم أيضاً ما سمي بـ "ثورات الربيع العربي" المتعثرة في تحقيق الانتقال الديمقراطي التعددي.

ومنه، قيام عالم المستقبلات الأمريكي ألفان توفلر بوصف حالة الانتقال الحضارية بتعاقب أو صدام موجي بين أنماط حضارية ثلاثة، مستخدماً مفهوم "الموجة" في أطروحته عن "الموجات الحضارية الثلاث" الزراعية والصناعية المنمّطة والصناعية الرقمية المشخّصة ؛ معتبراً ظاهرة "الانتقال" بمثابة "موجة"، أي "انتقال موجي"، له مد وجزر، تقدم وتقهقر، فعل ورد فعل ؛ مع ما يصحب كل منها من تغيرات قيمة ومؤسسية مربكة لجميع الفاعلين.

ونخلص هنا، أنه علينا الانتباه إلى الفروق الدلالية والسياقية والسيمائية والعملية المتعلقة بالاستخدامات ذات الغرض النضالي والاحتجاجي، الرأسمالي والاشتراكي، الديمقراطي التعددي والديمقراطي الأحادي، الديني والعلماني، السياسي الحكومي والمعارض، لمدلول مصطلح "الانتقال"، كما أن علينا الانتباه لأبعاد وخصائص ظاهرة الانتقال في العوالم المختلفة، وفي القطاعات المختلفة.

كما تجدر الإشارة إلى أن الحكومات تتخذ لغايات استراتيجيات وسياسات مختلفة، مجموعة من السياسات القطاعية المتفاوتة في درجة تناسقها التصوري والحركي، من أجل إنجاح سيوررة انتقال من سياسة قائمة إلى سياسة بديلة، من حالة جمود سياسي إلى حالة تجديد وإصلاح سياسي، وذلك لغاية حفظ البقاء والاستمرار أو لغاية تعزيز القوة والهيمنة الإقليمية والدولية، بالمختصر لغاية التكيف بمختلف أشكاله:

المقاوم أو الاستسلامي أو المتوازن أو الاستباقي، موازنة -في لعبة غير صفيرية- بين تحقيق المصالح المشتركة والتفاوض حول المصالح المتناقضة مع فواعل البيئات الخارجية.

خاتمة: خلاصة عامة عن المحور الأول للدراسة:

إن الانتقال والاستقرار النسبيين حالة كونية وإنسانية مجتمعية، شهدتها وتشهدها جميع الأنساق والكيانات الإنسانية والطبيعية والمادية، إذ التغير ضمن الثبات والثبات ضمن التغير، مسألة وجودية أنطولوجية حيوية.

كما أن الانتقال كمفهوم يتداخل مع أكثر من مفهوم قريب في الدلالة. وقد تبين كيف أن الانتقال سيروية وظاهرة متعددة الجوانب والخصائص والحجوم ويقاس بعدة مؤشرات في جميع أبعاده ومجالاته وقطاعاته ؛ كما ينكب الباحثون على دراسة ظاهرة الانتقال من منظورات ونظريات ومقاربات عدة ؛ بينما يستهدف القائمون على أي سيروية انتقالية تحقيق جملة من القيم أو المبادئ المرجعية والأيدولوجيات، وتجاوز حالة أزمة بتوليد تجارب ونماذج للانتقال ضمن حركية زمكانية معينة، بينما الانتقال تشهد الحياة السياسية على المستويات المحلية والوطنية والقومية والإقليمية والقارية والدولية والعالمية، وتتخذ من أجل إدارة الانتقال استراتيجيات وسياسات متنوعة على المستوى الداخلي والخارجي للدول ويتولاها عدة فاعلين الماتحت وطنيين والوطنيين والدوليين.

نخلص في الأخير، إلى أن دراسة ظاهرة "الانتقال" في الحياة الإنسانية المعاصرة يتطلب جهدا بحثيا إضافيا، يجمع بين المعالجة الكمية والكيفية للمعطيات. كما أن المجموعات الثمانية للانتقالات العظمى التي أوردناها مكثفة في ثمانية، تبدو متفاعلة ومتداخلة ومتزامنة، ما يطرح سؤالا أخيرا حول المستقبلات أو المآلات أو النهايات الممكنة المتفائلة والمتشائمة، لهذه الديناميكيات الانتقالية، أيهما أسبق، وأقدر على رفع ودفع توليفة الانتقالات العظيمة الأخرى، حيث وجدنا أن أطروحات العلماء قد اختلفت حول العامل المرجح قيادته وريادته لبقية العوامل في إحداث "الانتقال الأعظم" في الحالة البشرية والحضارية، إذ أن كل انتقال عظيم يتضمن بالضرورة عوامل أو متغيرات أو مؤشرات ينبغي قياس تغيراتها عبر الزمن الماضي إلى اليوم، ثم وضعها في مصفوفة التأثير المتبادل بينها، واستخراج معامل الارتباط بينها ؛ ثم وضع أكثرها تأثيرا في دولايب المستقبلات، مع استخدام مصفوفة تحليل لعبة الفاعلين، لاستخراج التداعيات الممكنة

ولتصميم السيناريوهات الممكنة الإيجابية والسلبية للتفاعلات بينها، في أفق زمني مستقبلي معين، وهو ما يتطلب دراسة استشرافية مستقلة بذاتها.

وإلى ذلك الحين، نسجل أن فئة من العلماء والباحثين انتصروا لعامل حتمي أو محدد مركزي مؤثر في بقية العوامل والمحددات المفضية إلى "الانتقال الأعظم"؛ فنجد مثلا أن ألفان طوفلر وبول كينيدي وكلاوس شوارب وجوأل روني وغيرهم، يرجحون العامل المحدد أو الانتقال التكنولوجي بكل تنوعاته لانتقال عظيم رافع ودافع وقاطرة للانتقالات الأخرى؛ بينما يرجح مثلا إيمانويل كانط وجورج فيلهلم فريدرش هيغل وأوزفالد اشبينغلر وحامد ربيع وإدغار موران ومالك بن نبي وبرنار نادولك ومهدي مظفري وألكسندر دوغين وغيرهم، العامل المحدد أو الانتقال القيمي الأيديولوجي الثقافي؛ بينما يرجح علماء أمثال عبد الرحمان ابن خلدون وكارل ماركس ونيكولاي كوندراييف وسمير أمين وإمانويل فالشتاين وغيرهم العامل أو الانتقال الاقتصادي؛ بينما يرجح توماس مالتوس وسيمون كوزينتز وإيمانويل تود ويوسف كورباج وسيمون كوزينتز وعبد الرحمان ابن خلدون وإميل دوركهايم وزيجموند باومن وغيرهما العامل المحدد أو الانتقال الديمغرافي والاجتماعي والعمراني والإثني، كمرجح لحدوث الانتقال الأعظم؛ ومن جهته، يرجح علماء آخرون أمثال نيكولاي كارداشيف وبرينستون فريمان دايسون وكارل إدوارد ساغان وزولتان غالاتناي وغيرهم العامل المحدد أو الانتقال الطاقوي؛ وأخيرا، يرجح علماء الجغرافيا السياسية من أمثال أفلاطون وأرسطو وابن خلدون وفريدريك راتزل وكارل هوشوفر وإيف لاكوست وهالفورد ج. ماكيندر وألكسندر دوغين وغيرهم، العامل المحدد أو الانتقال الجغراسياسي والجيوستراتيجي، كمرجح لقيادة الانتقالات الأخرى، وعندها يمكن الجزم بحدوث "الانتقال الأعظم".

وإذا استبعدنا مزلق التحليل بالخضوع لأي حتمية عاملية ذات طبيعة مادية أو لامادية، خشنة أو مرنة، ورجحنا أن الانتقالات العظمى متسلسلة ومتعاضدة ومتداخلة ربما بنفس القدر والمنسوب والوتيرة والتأثير؛ فإن ذلك المزيج من الانتقالات المتعاضدة في واقعنا الكوكبي الإنساني المعاصر يتوقع أن يحدث حسب تقلبات وتغيرات أساليب واستراتيجيات تكيف لعبة الفاعلين المعنيين بتلك الانتقالات العظمى.

أخيرا، دون استشراف مستقبلات تلك الانتقالات العظمى، تعداد وتوصيف لها، وبيان لمدى التداخل والترابط الديناميكي بينها، وذلك ما سنتناوله في بحث مكمل لهذه المقدمة.

التهميش:

¹ - قاسم حجاج، العالمية والعولمة، دراسة مقارنة للمفهومين، رسالة لنيل الماجستير تخصص علاقات دولية، نوقشت عام 2000، ب معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3، شراف الدكتور عبد القادر محمودي، ثم نشرت في كتاب عام 2003.

² - قاسم حجاج، الأطروحات الناقدة والمناهضة للعولمة الأخيرة، دراسة لعينة من الأطروحات الأكاديمية والسياسات الحكومية والنضالات الاجتماعية، أطروحة لنيل الدكتوراه، تخصص علاقات دولية، نوقشت في ماي 2013، بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3، إشراف البروفيسور مُجّد سليم قلالة، ثم نشرت في كتاب عام 2013.

³ - انظر قراءة في كتاب: مصطفى حجازي، بعنوان: النقلات الحضارية الكبرى: أين نحن منها؟، صدر عن دار النشر: المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2023، محررة من طرف الأستاذ وليد عبد الحي، "النقلات الحضارية الكبرى: أين نحن منها؟"، بدون تاريخ النشر، تاريخ الاطلاع: 9 جوان 2024، الرابط موقع إسلام أون لاين:

<https://islamonline.net/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A8%D8%B1%D9%89-%D8%A3%D9%8A%D9%86-%D9%86%D8%AD%D9%86-%D9%85%D9%86%D9%87%D8%A7/>

⁴ - الأنتروبيا/ : قانون الأنتروبي لـ: لودفيك بولتسمان/Ludwig Boltzmann

⁵ - وليد عبد الحي، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، ط1، 1414هـ/1994، ص87.

⁶ - براتلاند اختصار لاسم المشرفة على تحرير التقرير وهي: Gro Harlem Brundtland، رئيسة وزراء النرويج السابقة، مواليد 1932، رئيسة وزراء ما بين 1981 - 1992، ومديرة منظمة الصحة العالمية ما بين 1998 - 2000.

⁷ - L'Observatoire Européen de la Transition, «Définitions: Transition», Sans date de Publication, vu le 6 Février 2023.

In : <https://www.transition-europe.eu/fr/search/node/D%C3%A9finitions%3A%20Transition>

⁸ - Op. Cit.

9- Op. Cit.

-¹⁰ Michel Dobry, « Les Voies Incertaines de La Transitologie. Choix Stratégiques, Séquences Historiques, Bifurcations et Processus de Path Dependence », Revue française de Science Politique, 50^e année, n°4-5, 2000, pp585-614,

In : https://www.persee.fr/issue/rfsp_0035-2950_2000_num_50_4?sectionId=rfsp_0035-2950_2000_num_50_4_395499

-¹¹ Michel Dobry, Op. Cit.,

See in : https://www.persee.fr/docAsPDF/rfsp_0035-2950_2000_num_50_4_395499.pdf

And see in: Caroline Banton, Reviewed by Khadija Khartit, "What Is Path Dependency? Definition, Effects, and Example", Updated November 29, 2021, Visualized September 28, 2023, See in: <https://www.investopedia.com/terms/p/path-dependency.a>

Or see in : Wikipedia, the free encyclopedia, "Path dependence", last edited: 18 September 2024, date of access: Oct 1, 2024, in https://en.wikipedia.org/wiki/Path_dependence

- يمكن في هذا الصدد مراجعة الأعمال المرجعية في الحقل العلمي الفرعي للعلوم الاقتصادية والعلوم الحضارية والعلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، المتعلق بدراسات الانتقال، والتغير، في الدائرة العلمية الغربية، كأعمال:

Gabriel A. Almond, S. C. Flanagan, Robert J. Mundt, Guillermo O'Donnell, J. Samuel Valenzuela, Philippe C. Schmitter, Lawrence Whitehead, Adam Przeworski, G. Di Palma, Gernot Grabher, David Stark, David C. North, Dorothee Bohle, Samuel P. Huntington, Larry Diamond, Daniel Bell, Michio Kaku, B. N. Kuzyk, Yu. V. Yakovets, Nikolai Kondratiev, ... etc.

- وفي الدائرة العلمية العربية كأعمال: المهدي المنجرة، قسطنطين زريق، وليد عبد الحي، مالك بن نبي، علي الدين هلال، عزمي بشارة، نيفين مسعد، برهان غليون، وغيرهم.

¹² - ترتكز نظرية جريفز على أن الإنسان والبيئة يؤثر أحدهما على الآخر، فتغير ظروف الحياة هو أكبر دافع لتغير الناس. لما اصطلح عليه عالم النفس الروحاني الأمريكي كلاير جرايفز / Clare Graves (1914-1986)، بـ "مستويات الوعي الحضاري اللولبي أو الحلزوني" الثمانية وقيل التسعة، وهي قائمة على استقراء واستلهاهم "نظم القيم، المحددة للعلاقات بالواقع"، التي طورها البشر خلال وجودهم في الأرض. وهي نظرية في العلم النفس التكاملي تركز على معرفة كيفية ظهور أنظمة القيم ووجهات النظر العالمية من خلال تفاعل "ظروف الحياة" مع قدرات العقل. نظرية ثلاثية المنظور المعرفي بيولوجية- نفسية - اجتماعية/ الاسم "النموذج الدوري الصاعد، ذي المروحتين، المتعلق بتنمية النظم البيولوجية النفسية والاجتماعية للراشدين" أو ببساطة: نظرية مستويات الوجود

(ECLET). وتستخدم نظرية غريفز الأصلية نموذج الحزبون المزدوج لإظهار العلاقات المتبادلة بين الإدراك الفردي فيما يتعلق بالظروف المعيشية والجهاز العصبي للأفراد الذي يحدد مستوى الوجود العقلي. ففي البداية، قام كلار غرايفز بمساعدة 200 باحث ولمدة 25 عام بدراسة القيم عند الشعوب على اعتبارها الدافع الأول للرقى والتحضر، وخُصَّ غرايفز إلى أنَّ المشكلات هي التي تتحكم بالقيم، على خلاف ماسلو الذي اعتبر أنَّ الحاجات هي التي تتحكم بالقيم؛ وقسَّم بها الوعي إلى سبع مستويات متدرجة. وقد قام الباحثان دان إدوارد بك/ Don Edward Beck وكريستوفر سي. كوان/ Christopher C. Cowan، بتمثيل أعمال غرايفز، ونشر كتابهما بعنوان: Spiral Dynamics: Mastering Values, Leadership, and Change / الديناميكيات اللولبية: إتقان القيم والقيادة والتغيير، عام 1996؛ قاما فيه بالتقعيد لنظرية مستويات الوجود الإنساني الغرايفزية. ومؤخراً، أضاف إليها الدكتور مُحمَّد عاشور (جامعة طيبة/ المملكة السعودية)، مستوى ثامن للوعي وهو "الوعي الرباني". للمزيد انظر في:

- Jacques Ferber, « Spirale Dynamique : Evolution individuelle et collective », de Clare Graves à Ken Wilber à JF. Noubel, publié en 2009, Visualisé le : 14 Avril 2024, see in : <https://www.different.land/devenir/veiller-spirituellement/8-niveaux-de-conscience.php#:~:text=Egalement%20appel%C3%A9%2022spirale%20dynamique%202C,pour%20atteindre%20sa%20maturit%C3%A9%20spirituelle.&text=Pour%20s'en%20sortir%2C%20il,changer%20de%20niveau%20de%20conscience.>

- Wikipedia, « Spirale dynamique », mise en ligne en Mars 2020, , Visualisé le : 14 Avril 2024, see in :

[https://fr.wikipedia.org/wiki/Spirale_dynamique#:~:text=La%20spirale%20dynamique%20\(Spiral%20Dynamics,et%20des%20syst%C3%A8mes%20de%20valeurs.](https://fr.wikipedia.org/wiki/Spirale_dynamique#:~:text=La%20spirale%20dynamique%20(Spiral%20Dynamics,et%20des%20syst%C3%A8mes%20de%20valeurs.)

- ضمن فعاليات ملتقى "لأنك حضاري"، أقيمت دورة "مستويات الوعي الحضاري" يوم 1436/2/18 هـ من تقديم المهندس مُحمَّد عبد الرؤوف عاشور ضمن أنشطة "نادي لأنك حضاري"، تاريخ النشر: 5 فيفري 2015، تاريخ الاطلاع: 20 سبتمبر 2023، انظر الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=t020ehdKELU&ab_channel=%D9%84%D8%A3%D9%86%D9%83%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D9%8A

-¹³ Stefan C. Aykut, Aurélien Evrard, « Une Transition pour que rien ne change? Changement Institutionnel et Dépendance au Sentier dans les « Transitions Énergétiques » en Allemagne et en France », in: Revue internationale de politique comparée, 2017/1 Vol. 24, pages 17 à 49, Voir p18, in : <https://www.cairn.info/revue-internationale-de-politiquecomparee-2017-1-page-17.htm>

-¹⁴ See the site : <https://www.transition-europe.eu/en/page/european-observatory-transition>
See : The Definition of « Transition »,
in : <https://www.transition-europe.eu/en/page/definitions-2>